كيف يعزز علم الآثار فهمنا للهوية والاتصال عبر العصور..

خبراء متعددو التخصصات في قمة العُلا العالمية للآثار 2023

يدرسون كيف يساعدنا علم الآثار على فهم عالمنا المترابط والتنقل فيه بشكل أفضل

هناك العديد من الافتراضات التي ساعدنا علم الآثار في تحدّيها، من أكثرها عمقًا الترابط بين البشرية – عبر الزمن، والمسافات الطويلة، والمجتمعات التي تبدو متباينة. لقد ساعدتنا الاكتشافات الأثرية على إعادة صياغة كيفية فهمنا للماضي وعلاقاتنا بالحضارات القديمة، مع إثراء فهمنا لكيفية تواصلنا مع المجتمعات والأفراد في يومنا هذا.

منذ بداية البشرية، لطالما شكك الناس في معنى وجودهم. إن الاستفسارات الأبدية حول وجود المرء وشعوره بالذات—التي يطرحها الفلاسفة القدماء والأشخاص المعاصرون على حدٍّ سواء—ليست سوى اختلافات في الأسئلة النهائية للهوية: من نحن؟ ما الذي يحددنا؟ ما الذي يمكّننا من الارتباط والتواصل بالعالم من حولنا؟

توفر الهوية الجماعية إطارًا للأفراد لفهم هويتهم الخاصة فيما يتعلق بالآخرين والمجتمع من منظور أوسع، حيث إنه يوفر إحساسًا بالهدف الجماعي وسردًا مشتركًا يوجّه الإجراءات والقرارات الفردية وقيمها ومعاييرها ومعتقداتها وأهدافها. في الوقت نفسه، تساهم التجارب ووجهات النظر الفردية في تشكيل الهوية الجماعية وتطورها.

من خلال دراسة العوامل المختلفة التي تساهم في تكوين الهوية الفردية والجماعية وتطويرهما، نسعى إلى اكتساب فهم أعمق لآثارها ذات المدى البعيد على النمو الشخصي والروابط الاجتماعية والتجربة الإنسانية الأوسع.

"نحن نعيش في عصر ربما تتوسع فيه معرفتنا بأصولنا أكثر من أي وقت مضى"، وقد علق المشرف نيك روبرتسون في جلسة حول الهوية خلال قمة العُلا العالمية للآثار، وطرح ثلاثة أسئلة: كيف يشكّل علم الآثار هويتنا؟ كيف يمكننا فهم وتفسير الحضارات التي سبقتنا؟ وكيف كانت رؤية أجدادنا لأسلافهم الذين سبقوهم؟

علم الآثار في جوهره، وبوصفه دراسة للتاريخ البشري عبر العصور، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمفهوم الهوية البشرية. وبما أن الذاكرة الجماعية للحضارات الماضية تتجمع ببطء، من خلال الأدلة التي تم جمعها على مر السنين، يمكننا البدء باستخلاص الفهم الحقيقي لكيفية تكوين البشر لفهمهم لأنفسهم وللمجتمعات التي ينتمون إليها.

كما تسلّط الاكتشافات الأثرية الضوء على المعتقدات والملابس والتشكيلات الاجتماعية للحضارات التي مضت، حيث إنها توفر نافذة فريدة لتشكيل الهوية البشرية. وتمكّننا هذه النتائج من تتبع تطوّر النظم الثقافية المعقّدة، واستكشاف التفاعل بين المجتمعات المختلفة، وتقدير التنوع الذي شكّل الوجود البشري عبر التاريخ.

سواءً تم تطبيقه على المواقع الحديثة أو القديمة، يساعد علم الآثار في الحفاظ على الروايات الثقافية التي كان من الممكن أن تضيع في وقت ما واستعادتها. كما يساعد في إعادة تشكيل هذه الروايات بطرق أكثر تمثيلًا وتعددية. علاوة على ذلك، يؤكد علم الآثار الترابط بين الهويات الماضية والحالية، من خلال الاعتراف بالقواسم والخبرات المشتركة بين المجتمعات القديمة ومجتمعاتنا الحالية، حيث نكتسب تقديرًا أعمق للتراث المشترك الذي يربطنا معًا. كما يعزز هذا الإدراك الشعور بالوحدة، وسد الفجوات بين الثقافات، وتعزيز فهم أكثر شمولًا للهوية الإنسانية. ومن خلال هذا العمل سنفهم أن الهوية الجماعية ليست مفهومًا ثابتًا، وإنما مفهومًا ديناميكيًّا، يتطور باستمرار، ويتغير وتُعاد كتابته مع مرور الوقت.

يساعد علم الآثار الحديث في تحدي المفاهيم والافتراضات المسبقة حول الهوية. ويمكننا تحديد الحالات التي تشكلت فيها الروايات التاريخية، عن طريق فحص البقايا المادية التي تركتها المجتمعات السابقة، ومن خلال التحيزات أو التعديلات أو الإغفالات؛ لذلك نشكّلُ فهمًا أكثر دقة وتعددية للهوية البشرية، إلى جانب احتضان التعقيدات والتناقضات والفروق الدقيقة التي تميّز كل فرد ومجتمع.

بطريقة أو بأخرى، يتحدى علم الآثار افتراضاتنا حول هوية أسلافنا، ومن ثمَّ هويتنا، أو ما نعتقد أننا نعرفه عن أنفسنا، ولكنه يمنح الناس أيضًا شعورًا أفضل بالارتباط بماضيهم.

خلال قمة العُلا العالمية للآثار 2023، التي عُقدت في محافظة العُلا بالمملكة العربية السعودية، كان موضوع الهوية في طليعة العديد من النقاشات رفيعة المستوى، حول حاضر هذا المجال ومستقبله. تُظهر طبيعة هذه المحادثات الحاجة الحيوية لعلماء الآثار في العصر الحديث؛ للنظر في كيفية التأثير المتبادل لنتائجهم وتفسيراتهم، بأفكار التعددية الأكثر تعقيدًا ودقّة حول الهوية.

إعادة التفكير في روابط العالم القديم

لطالما وقفت العُلا على مفترق طرق بين العديد من الحضارات التي سبقتنا. ومنذ آلاف السنين شارك العديد من الشعوب التي مرت عبر هذه المنطقة ثقافاتها، وتبادلت السلع والخدمات والفنون— وربما الأهم من ذلك كله — الأفكار. ويحتاج فهمنا للمجتمعات القديمة وكيف تم تشكيلها وتطويرها إلى إدراك أنه لم يحدث من فراغ. غالبًا ما تأثرت الهوية الثقافية بالهجرة من الأراضي البعيدة، ويمكن لعلماء الآثار تتبع هذه التبادلات الثقافية المستمرة. ويساعدنا علم الآثار على بناء المعلومات حول التبادل الثقافي والاجتماعي والاقتصادي في العالم القديم، وذلك من خلال مفهوم يعكس أن الإنسان لا يمكن أن ينمو في عزلة.

هذا، وقد سهّلت طرق التجارة تبادل السلع والتقنيات والأفكار الثقافية، كما لعب الحرفيون من خلال رحلاتهم وتفاعلاتهم دورًا حاسمًا في نشر الأساليب الفنية والمعرفة، وعزّزت طرق الحج انتقال المعتقدات المتنوعة. كما أدت الحروب والفتوحات إلى نشر الأفكار ودمج التقاليد، بينما أدى الاحتلال الذي فرضته القوى الأجنبية إلى إدخال تقنيات وممارسات ثقافية جديدة، وكل هذه الأحداث المترابطة وأكثر، تساهم في تكوين الهوية البشرية الجماعية وتحويلها عبر التاريخ.

تساعد العُلا على تعميق فهمنا للترابط بين العالم العربي القديم، من خلال مشاريع بحثية تركّز على طرق التجارة والحج، أو تتبع الروابط الجينية، واستخراج المعلومات عبر المشاريع المتعلقة بتبادل المعرفة والأفكار من الهند إلى مصر وبلاد ما بين النهرين، وروما واليونان وخارجها، وقد تفاعلت العُلا مع العديد من الحضارات، واستضافت جموعًا من الناس الذين تركوا علامات واضحة جدًّا على المنطقة.

ومن الأمثلة البارزة على التبادل الثقافي في المنطقة "جبل عكمة"، وهي مثل مكتبة مفتوحة، تضم مئات النقوش المحفورة والمنحوتة والمكتوبة— بخمس لغات قديمة معروفة على الأقل — عبر جدران الوادي والوجوه الصخرية. كما تقدم كتابات ونقوش جبل عكمة لمحةً عن حياة الشعوب القديمة في المنطقة، وهي ظاهرة في الأسماء والدعوات والطقوس وأكثر من ذلك.

على سبيل المثال، تخبرنا نقوش قوافل الجمال والآلات الموسيقية عن الرحلات والتقاليد عبر العصور. في جلسة تثقيفية بعنوان "طرق المعرفة.. تتبع مسارات العرب القدماء" في قمة العلا العالمية للآثار 2023، شارك الدكتور ضيف الله الطلحي، الأستاذ الفخري في علم الآثار بجامعة حائل، قصة الحِجر وعلاقاتها بالواحات الثقافية في شمال غربي شبه الجزيرة العربية وخارجها. تروي المدافن والآثار في المنطقة قصةً غنية عن التجارة المترابطة والمزدهرة، والمراكز الثقافية التي انحسرت وتدفقت على مدى آلاف السنين.

تكشف الحفريات والدراسات الأخرى في الحِجر عن عالم قديم مترابط بالفعل. كما أن واجهات المدافن المتقنة هي عبارة عن مزيج من المفردات المعمارية من اليونان ومصر وبلاد ما بين النهرين، مجتمعة في تعبير نبطي أصيل ومميز. في حين أن العديد من المدافن في هذا الموقع القديم شرعت بتكليف واضح من قبل النخبة النبطية، وهو ما يتضح في النقوش الإهدائية. كما أن الكتابات الجدارية التي يعود تاريخها إلى عهد ماركوس أوريليوس في واحدة منها، تكشف عن شراكة بين المسؤولين الرومان والسكان المحليين؛ ما يرسم صورة للتعاون بعد أن ضم الرومان المملكة النبطية عام 106م.

كذلك تم اكتشاف مدافن ذات سمات مماثلة لتلك الموجودة في الحِجر والبتراء، في أماكن أخرى من شبه الجزيرة العربية، لكن هذا يعدُّ أمرًا نادرًا؛ "فالغالبية العظمى من الناس في العالم يفكرون في الأنباط والبتراء. إنهم لا يدركون أن هذا في الواقع مجرد جزء صغير جدًّا من مملكتهم. وفي الواقع هناك الكثير". كما أوضح الدكتور ضيف الله الطلحي في إشارة إلى شبكة من الطرق، حيث تتوزع فيها النقوش النبطية، وهذا يعدُّ مؤشرًا له أهمية كبيرة.

بعد ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي وانتشاره في جميع أنحاء العالم، من شبه القارة الهندية إلى شبه الجزيرة الإيبيرية، بدأت تصل أعداد غير مسبوقة من الشعوب والممارسات والسلع إلى شبه الجزيرة العربية، وهي المركز السياسي للخلافة. كما استمر الحج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة في تدفق هائل ومستمر لمجموعة متنوعة من الناس عبر العُلا، إلى أن أصبح السفر الجوي والبحري من الأساليب السائدة للسفر، وبدأ الحجاج الدينيون في الالتفاف حول شمال غربي شبه الجزيرة العربية؛ للاستفادة من هذه الطرق الجديدة.

واختتمت شيلا راسل، الرئيس التنفيذي لشركة ساندز إن تايم ليمتد، بالتأكيد على التدفق المستمر للأدلة التي تثري فهمنا لماضي هذه المنطقة، قائلة: "لقد تعلمنا أن الأدلة تستمر في الظهور، ونحن لسنا على دراية بكل شيء، فيجب أن نحافظ على عقل متفتح؛ لنستمر في التعلم من بعضنا بعضًا".

ووفقًا للدكتور خالد مليتي، المؤرخ والباحث في المعهد الفرنسي للبحث العلمي، فإن مجال علم الآثار لديه القدرة على تحدي معتقداتنا الحالية. يذكر الدكتور مليتي على وجه التحديد أن علم الآثار قد ساهم بشكل كبير في فهمنا للحياة في قرطاج القديمة، حيث اختفى الكثير من الأدب من المدينة تمامًا. ولقد سمح بالابتعاد عن النظرة الهلنستية للحضارة والاهتمام بالحياة القرطاجية، قائلًا: "تم إحياؤه وتعميقه وأصبح مقبولًا على المستوى المهني".

الرحلة إلى عجائب الآثار في العالم لم تنته بعد، حيث يظهر استكشاف المواقع الأثرية النسيج الغني للتاريخ البشري، وبينما نغامر أكثر، يصبح من الواضح أن الترابط وتبادل الأفكار بين الحضارات المختلفة كان منذ فترة طويلة قوة مستمرة عبر التاريخ.

الاتصال والاستمرارية عبر الزمن

العولمة بعيدة كل البعد عن كونها ظاهرة جديدة. يسلّط علم الآثار الضوء على الترابط بين الحضارات القديمة، والطرق القديمة التي مهّدت الطريق لعولمة عالمنا الحديث.

طريق البخور، طريق الحرير، طريق العنبر، وغيرها الكثير، كلها أمثلة على شبكات التجارة المترابطة عالميًّا عبر العصور العديدة للبشرية التي تم الكشف عنها من خلال دراسة الآثار.

وقد تم العثور على القطع الأثرية والنصوص القديمة من ثقافات تبدو غير مترابطة في أرض غير معروفة، حيث ساعدت الباحثين في بناء خرائط معقدة وطرق سفر كان قد سلكها أسلافنا، على سبيل المثال، تم العثور على أمفورا—التي تستخدم لنقل البضائع مثل النبيذ وزيت الزيتون والحبوب—في العديد من المناطق المختلفة وحطام السفن؛ ما يشير إلى نقل البضائع على طول طرق تجارية محددة بعيدة المدى. كما يمكن استخلاص استنتاجات

مماثلة من الفخار والأواني الزجاجية والأقمشة والعملات المعدنية والتوابل، وغيرها من الأدلة الموجودة بعيدًا عن نقاط منشئها أو إنتاجها.

وضع هذا التبادل للسلع والتقنيات والممارسات الثقافية في العالم القديم الأساس للعديد من جوانب مجتمعاتنا الحديثة. على سبيل المثال، من المحتمل أن تنتشر المعرفة في تدجين النباتات والحيوانات، من خلال شبكات السفر القديمة؛ ما يشكل تطور الممارسات الزراعية على مستوى العالم؛ لذلك من الصعب جدًّا تجاهل التأثير العميق للسفر والتجارة على التغيرات داخل الحضارات، ومن ثمَّ على هوية المجتمعات التي تقع على طول طرق التجارة القديمة الرئيسة.

ففي مدافن الأسد في دادان، على سبيل المثال، حيث تم دفن النخبة المعينية (التي يُعتقد أنهم تجار بارزون) على بعد نحو 2000 كيلومتر من أصولهم في جنوب شبه الجزيرة العربية؛ ما يدل على تقدير وحسن ضيافة السكان المحليين لضيوفهم. إن الاعتراف بالهويات المعقدة التي تحتفظ بها المجتمعات القديمة، هو تذكير قيّم بأهمية الاعتراف بهويات الناس متعددة الأوجه والاحتفال بها اليوم.

قال الدكتور نور سوبرز خان، رئيس هيئة متاحف المجموعات والمعارض في وزارة الثقافة بالمملكة العربية السعودية، إن الهوية مفهوم "مرن للغاية"، قائلًا: "من البديهي أن تنتمي إلى عدة أماكن. بينما تسلك مسارات مختلفة وتتشرب تلك الأماكن وعاداتها، ستحمل أيضًا ثقافتك معك، وستجلب طرق التنقل الخاصة بك ولغتك وكتابتك، وستسافر هذه الأشياء معك وتنتشر".

علاوة على ذلك، يوفر الترابط بين الحضارات القديمة دروسًا قيّمة لمواجهة التحديات العالمية المعاصرة، حيث يقدم نظرة ثاقبة حول كيفية تعامل مختلف المجتمعات بتنوعها مع العلاقات التجارية المعقدة، والاستيعاب الثقافي، والصراعات في الماضي. يمكن أن يساعد فهم هذه الديناميكيات التاريخية في توجيه استراتيجيات إدارة التنوع الثقافي، وتعزيز النظم الاقتصادية المستدامة، وتحسين العلاقات الدولية السلمية في الوقت الحاضر.

لقد استفدنا من دروس أسلافنا في الطرق التي أداروا بها العلاقات التجارية المعقدة والاستيعاب الثقافي، وتجنبوا النزاعات التي يمكن أن تنشأ عن الاختلافات الثقافية. أحد الأمثلة على ذلك هو طريق الحرير البحري– وهو طريق تجاري قديم يربط الصين وأوروبا من نحو سنة 200 قبل الميلاد إلى القرن الرابع عشر–، حيث تفاوض الدبلوماسيون من مختلف المناطق وقد اتفقوا بالإجماع على ضمان المنفعة المتبادلة للتجارة بين المناطق.

تكشف دراسة المواقع الأثرية على طول طريق الحرير، مثل دونهوانغ في الصين، أيضًا عن التبادلات الثقافية والاقتصادية الواسعة بين شرق آسيا وآسيا الوسطى وعالم البحر الأبيض المتوسط.

مع ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي، سرعان ما نشأت مدينة القُرح، التي تعود للقرون الوسطى– على بعد مسافة قصيرة جنوب العُلا الحديثة –، كواحدة من أهم المستوطنات على طول طريق الحج في بداياته.

الاكتشافات الأثرية من الموقع، ولاسيما السيراميك، تكشف عن مجموعة واسعة من المواد الأصلية. غالبًا ما كانت هذه المواد الغريبة مصدر إلهام للحرفيين المحليين، الذين تأثروا بالثقافات التي تواصلوا معها عبر طرق التجارة الخاصة بهم. وقد يكون التركيز على شبكات التجارة المحلية والإقليمية السائدة في العديد من المجتمعات القديمة، قد مهّد الطريق لسياسات التجارة العادلة التي نطبقها اليوم. ويمكننا المساعدة في إنشاء أنظمة اقتصادية أكثر استدامة ومرونة، تفيد المجتمعات المحلية وتدعم الاستدامة البيئية من خلال تعزيز الإنتاج والتجارة على المستويين المحلي والإقليمي.

تغيّر المناخ والهجرة البشرية

خلال جلسة نقاش في قمة العُلا العالمية للآثار بعنوان "علم الآثار ينسج عالمًا مترابطًا"، ناقش الخبراء كيف كان لتغير المناخ التاريخي وحركة الناس الناتجة عنه تأثير كبير على الهوية البشرية.

يقول الدكتور بيير زلوا، الأستاذ في جامعة خليفة، أبوظبي: "يمكنكم رؤية ذلك في المناظر الطبيعية المغمورة بالمياه التي كانت في الماضي جزءًا من اليابسة، ولن أتفاجأ إذا وجدنا الكثير من الأشياء المدفونة تحت سطح البحر، وليس بعيدًا جدًّا عن هنا". "انظروا حولنا. ماذا يحدث اليوم في العالم؟ درجات الحرارة تتغير، والفيضانات تحدث. سوف نتحرك أيضًا". يعمل علماء الآثار على تسهيل روابط الهوية بين ماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها، من خلال فحص مواقع التراث الأثري من زاوية أوجه التشابه بينها وبين القضايا العالمية المعاصرة.

علم آثار الحداثة وبناء الهوية

في علم الآثار، نتعلم أن دراسة الشعوب السابقة منذ مئات إلى مئات الآلاف من السنين، تساعد في فهمنا للثقافة المعاصرة والحياة الحديثة. على جدول زمني طويل بما فيه الكفاية، نحن ندرك أنه يمكننا النظر إلى تاريخ الوجود البشري بأكمله، على أنه بقعة في الوقت الذي نفكر فيه في التاريخ الواسع للأرض، وربما، نحن لسنا مختلفين أو بعيدين عن أسلافنا الأوائل كما نعتقد.

ناقش خبراء من أوروبا وأمريكا الجنوبية في قمة العُلا العالمية للآثار التأثير الشخصي والعاطفي الذي أحدثه تدمير المواقع الأثرية أو الآثار عليها.

يوضح الدكتور ألفريدو غونز إرميز رويبال، من معهد علوم التراث والمجلس الوطني الإسباني للبحوث، قائلًا: "بصفتنا علماء آثار، نحن مدربون على التواصل مع الناس في الماضي لأننا نهتم بأمورهم؛ ما يعني أننا نهتم بالأشخاص الذين صنعوا هذه الأشياء واستخدموها. عندما تختفي الأشياء، يختفي جزء من الناس في الماضي أيضًا".

تتمثل إحدى الطرق الرئيسة التي تتغير بها الممارسة الأثرية في اعتماد نهج أكثر تفاعلًا ومشاركة. بدلًا من أن يتم إجراؤها فقط من قبل علماء الآثار، يصبح البحث جهدًا تعاونيًّا يتضمن مشاركة فعّالة من أفراد المجتمع، تتشكل من خلال شؤونهم واهتماماتهم ووجهات نظرهم. إنه يحوّل نهج دراسة الماضي، ويتم الاعتراف بالدور المهم الذي تؤديه المجتمعات في الحفاظ على تراثها الثقافي وفهمه، ومساهماتهم القيّمة في البحث الأثري.

أكدت أنيتا ميندیراتا، المستشارة الاستراتيجية في شركة أنيتا ميندیراتا، كيف يمكن لعلم الآثار أن يدرس الأماكن والأشياء "التي لم تصبح تاريخية بعد". يدرس العديد من علماء الآثار، الآثار الحديثة للمجتمعات المتضررة من الكوارث الطبيعية الحديثة إلى حد ما (مثل إعصار كاترينا)، أو تطور العالم الحديث، مثل هجرة السكان من القرى الإسبانية خلال القرن الماضي؛ بهدف العيش في المدن المجاورة والمزدهرة. هذه الجهود هي دليل على أن الماضي، سواء كان أو لم يكن حديثاً، له يد في تشكيل هويتنا وتسليط الضوء على مستقبلنا، وبناء جسر بين عالمنا الحديث والعالم القديم المترابط.

تحدث الدكتور دانتي أنجيلو، الأستاذ المساعد في جامعة تاراباكا، عن تجربته في وطنه تشيلي، حيث يعيش المهاجرون وغيرهم من الأشخاص المهمشين في المجتمع في المباني التاريخية. هذه هي إحدى الطرق التي ترتبط بها تعاليم الماضي بالحاضر، وتعاليم الحاضر بالمستقبل. وأضاف قائلًا: "إنه يتحدث أيضًا عما يحدث الآن، وكيف يمكننا مواجهة التحديات الناتجة عن ذلك".

تقليديًّا، تم النظر إلى علم الآثار من خلال وجهة نظر قومية، ولكن الآن بعد أن رأينا العديد من الأمثلة على الترابط بين الثقافات القديمة، تتحول هذه الأفكار نحو رؤية أكثر تشاركًا لماضينا. ونظرًا لأن علم الآثار كان مجالًا يهيمن عليه الغرب إلى حد كبير، فقد كان أمرًا بالغ الأهمية لكيانات مثل الهيئة الملكية للعُلا،— وهي مؤسسة تحوِّل المنطقة بشكل مستدام كجزء من رؤية المملكة العربية السعودية 2030— للعمل على تغيير هذه الرواية، وتدمج قيم السكان المحليين في أعمال الحفظ وتشركهم بشكل استباقي في جهود الترميم.

العُلا القديمة هي موقع رائع كان مأهولًا بالسكان لأكثر من ثمانية قرون - من القرن الـ 12 ميلادي على الأقل حتى عام 1980. قبل ذلك، كانت القُرح المستوطنة الرئيسة في وادي العُلا، قبل ظهور الإسلام مباشرة، حتى استولت العُلا القديمة على محطة التوقف الرئيسة المحلية على طول طريق الحج السوري إلى مكة المكرمة (من نحو القرن السابع حتى القرن الثاني عشر الميلادي). إن الهياكل والمصنوعات القديمة والمحفوظة جيدًا لمواقع متجددة ومشغولة باستمرار، هي التي تمكّننا من دراسة تطور الثقافة وهويتها الجماعية.

بالنسبة للمقيم المحلي وعالم الآثار، مطلق المطلق، هناك صلة عميقة ببقايا الماضي هذه، إذ يقول: "عندما أتحدث عن التاريخ والمصنوعات اليدوية، أتخيل أن جميع الناس من ذلك الوقت يعيشون هناك—إنهم موجودون". "أتخيل أنهم يجُرُّون محادثات بلغتهم".

يخضع مشروع الحفاظ الرئيس للهيئة الملكية للعُلا، البلدة القديمة، لعملية إحياء فعّالة. وكجزء من نهضتها وتطور تحوّلها إلى متحف حي، يتم جمع التواريخ الشفوية الجماعية والتقاليد لسكان البلدة القديمة السابقين وفهرستها للأجيال القادمة. يعمل رواة القصص كمرشدين محليين، ويحملون معهم ثروة من المعرفة من تاريخ المنطقة لتمريرها إلى الأجيال القادمة، حتى إن آباء الكثيرين نشؤوا هناك.

إنها قصص أهالي العُلا الذين ينبضون بالحياة في متحفها الحي. في الوقت الذي ينصب فيه تركيز علماء الآثار على التفاصيل المتعلقة بـ "متى"، "ما" و"كيف" المتعلقة بتاريخ المنطقة، فإن المؤرخين المحليين هم الذين يساعدون في الإجابة عن السؤال الرئيس؛ "لماذا". ستكون هذه الهوية الجماعية المشتركة تجربة مشتركة بين الخبراء والمجتمع المحلي؛ ما يمنحنا نافذة على ماضي المنطقة، ويساعد في ترسيخ التراث غير المادي لشعب العُلا وهويته في أذهاننا.

يلعب علم الآثار دورًا حاسمًا في كشف النسيج المعقد للهوية البشرية. ويقدّم علماء الآثار رؤى قيّمة للماضي، تساعد في تشكيل فهمنا لمن نحن كأفراد وأعضاء في مجتمع أكبر، من خلال التنقيب عن المواقع القديمة، تحليل القطع الأثرية، وتفسير الممارسات الثقافية.

ساعدت الطرق التي تفاعل بها القدماء معًا وتبادلوا العناصر والأفكار، في تشكيل المجتمعات وتطويرها، وساهمت بشكل كبير في عملية الابتكار والتقدم الهائل للتكنولوجيا الحديثة.

يعمل علم الآثار كأداة قوية لاستكشاف وفهم الهوية البشرية، حيث إنه لا يكشف فقط عن الطرق العديدة التي تحددت بها المجتمعات عبر التاريخ، من خلال فحصه المتعمق للشعوب الماضية، ولكنه يدفعنا أيضًا إلى فحص ناقد لمفاهيمنا المعاصرة للهوية، كما يمكّننا علم الآثار من بناء فهم أكثر شمولًا لهويتنا كبشر، من خلال الإتيان بالماضي وجمعه بالحاضر.